عبد العُزى بن عبد المطلب (أبو لهب) حياته وموقفه المعادي للدعوة الإسلامية

م. م. إخلاص عبد الرزاق محمود(*)

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين (مُحمدٍ) وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيستأثر دور أبي لهب في مقاومة الدعوة الإسلامية باهتمام المؤرخين والمعنيين بدراسة التاريخ، إذ هو عم النبي صلى الله عليه وسلم، وأحد رؤوس بني هاشم البارزين.

وتؤشر تفاصيل حياته أنه كان ذا شرف ومكانة بين أقرانه من قومه، فضلاً عن أنه كان من التجار الأثرياء المعروفين في مكة.

ولقد كنت على صلة بموضوع بحثي المتواضع بحكم دراستي وأثارت شخصية وسلوكه المنافي للقيم والأعراف السائدة انتباهي في محاولة الكشف عنه،

(*) قسم التاريخ - كلية الآداب / جامعة الموصل.

وقد تجمعت لديّ معلومات رأيت أن أضعها بين يدي القارئ الكريم لتسليط الضوء على هذه الشخصية الشرسة المتمادية في غيها وضلالها.

وقد استعرضت في هذا البحث المتواضع نبذة عن سيرته الشخصية وموقفه من دعوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم ختمت البحث بتحليل لمعارضة أبي لهب وأسبابها ونتائجها ثم موته (لعنه الله).

أسمه ونسبه وكنيته

هو عبد العُزى بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي [1]، ينتسب إلى عشيرة بني هاشم المعروفة بشأنها ومكانتها في قريش، وأمه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشية من خُزاعة[2] وكنيته أبو عتبة[3] وكنّاه أبوه أبا لهب؛ لتلهب وجهه وحسنه وإشراقه[4] وهي الكنية التي اشتهر بها، وكان أحول وضيئاً له

(1) ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي، المنمق في أخبار قريش، تعليق: خورشيد أحمد فارق، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الدكن، (الهند، 1964): 534.

(2) ابن هشام ، محمد بن عبد الملك الحميري ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، منشورات دار إحياء التراث العربي ، بيروت : ج 115/1 ؛ ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ، جمهرة النسب ، تحقيق : أحمد زكي ، منشورات الدار القومية للطباعة والنشر (القاهرة، 1965) : 17-18 .

(3) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ط2 ، دار المعارف (القاهرة ، 1969) : 125 .

(4) ابن الكلبي ، جمهرة النسب : ج104/1 ؛ ابن حبيب : المنمق ، ابن قتيبة ، المعارف : 125 ؛ الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت : ج 169/1 ؛ العصامي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ، سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ، (القاهرة ، 1380هـ) : ج349/1 .

غديرتان[5] وذكر ابن قتيبة أن أبا لهب أصيب في عينه وهو صغير؛ لأن أهله قاموا بكحله من دون موجب لذلك[6] وكان لأبي لهب عدد من الأخوة والأخوات، ذكر ابن إسحق أن عبد المطلب كان له من الأولاد عشرة وست إناث وهم العباس، وحمزة، وعبد الله، وأبو طالب، وأسمه عبد مناف، والزبير والحارث، وحجل، والمقوم، وضرار، وأبو لهب، وأسمه عبد العُزى، وصفية وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبَرَّة [7] ولم يعقب عبد المطلب من الذكور غير أربعة هم ، أبو طالب ، وأبو لهب ، وحمزة والعباس ، ولم يسلم غير حمزة والعباس، ومن البنات لم تسلم إلا صفية [8] وأما أولاده فقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد عددهم على وجه الدقة، فأبن قتيبة يذكر أن له من الولد ثلاثة ذكور عتبة وعتيبة ومعتب ، وبنات[9] أمهم أم جميل أروى بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان زعيم قريش وعمة معاوية[10].

أما الديار بكري فذكر أن جملة أولاد أبي لهب أربعة هم عتبة، وعتيبة، ومعتب، ودرّة ثم يعود فيذكر حديث أبي هريرة الذي يقول فيه أن سبيعة بنت أبي لهب جاءت إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت: يا رسول الله أن الناس يقولون

(5) ابن حبيب ، المنمق 534 ؛ ابن قتيبة ، المعارف : 125 ؛ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط5 ، دار المعارف ، مصر : ج2/348-349 .

(6) عيون الأخبار ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة ، 1963): ج3/274 .

(7) السيرة : ج1/113 .

(8) الديار بكري ، تاريخ الخميس : ج1/159 ؛ العصامي ، سمط النجوم : ج1/317 .

(9) المعارف : 125 .

(10) ابن قتيبة ، المعارف : 125 ؛ ابن الكلبي ، جمهرة النسب : 146 .

أنت بنت حطب النار . ويفسر الديار بكري هذا الاختلاط بقوله لعل سبيعة اسمها ودرّة لقب لها [11] في حين ذكر ابن الكلبي أن ولد أبي لهب ثلاثة ذكور فقط عتبة وعتيبة ومعتب[12] أما الذهبي فيتفق مع الديار بكري في أن عدد أولاد أبي لهب ثلاثة ذكور وبنت واحدة [13]. وأما ابن حبيب فذكر أصهار أبي لهب فيقول أن الحارث بن عامر بن نوفل كانت عنده درّة بنت أبي لهب، ودحية بن خليفة الكلبي خلف على درّة بعد الحارث وأوفى بن حكيم بن أمية بن حارثة، كانت عنده عزة بنت أبي لهب وعثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان الثقفي كانت عند خالدة بنت أبي لهب[14].

أبو لهب قبل ظهور الدعوة الإسلامية

ولد أبو لهب في مكة ، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية سنة ولادته، كما لا نعلم على وجه التحديد كم كان عمره عند بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) وكل ما وصل إلينا من معلومات أن أولاد عبد المطلب جد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الذكور ماتوا كلهم قبل البعثة إلا أربعة أبو طالب وهو أكبرهم سناً، وأبو لهب، وحمزة، والعباس وهو أصغرهم سناً، وكان أسن من النبي (صلى الله عليه وسلم) بسنتين أو ثلاث [15] والصحيح أن حمزة هو الأصغر فقد ذكر ابن سعد أن ثويبة

(11) تاريخ الخميس ، ج169/1 .

(12) جمهرة النسب ، 146 .

(13) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: عمر عبد السلام، ط2 ، دار الكتاب العربي ، 1989 : 349 .

(14) المحبر ، اعتناء : إيلزة ليختن شتيتر ، منشورات المكتب التجاري ، (بيروت ، 1361هـ) : 65 .

(15) العصامي ، سمط النجوم : ج322/1 .

مولاة أبي لهب أرضعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بلبن أبنها مسروح وأرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي[16]، كان أبو لهب من سادات قريش في الجاهلية، وكان تاجراً كثير المال لهذا لا نعجب أنه تزوج من أروى أم جميل بنت حرب بن أمية من عشيرة بني عبد شمس المعروفة بشرفها ورفعتها في قريش وما بينها وبين عشيرة بني هاشم من العداء في الجاهلية والإسلام.

وكان لهذا الزواج تأثير كبير على حياة أبي لهب ، فقد ارتبط نشاطه التجاري بعشيرة بني عبد شمس (أنسابه) الذين بلغ اهتمامهم بالتجارة حداً جعل بعض زعمائهم مثل أبي سفيان وغيره يخرج بنفسه على رأس قوافل قريش التجارية .

وقد أثرى أبو لهب من اشتغاله بالتجارة ثراء عظيماً الأمر الذي جعله من فئة الأشراف الأغنياء الذين كانوا لا يتورعون عن ممارسة كل أشكال الظلم والغش والاستغلال والاحتكار في سبيل مصالحهم وضمان استمرارهم في السيطرة على التجارة في مكة وسائر الأمور الأخرى فيها ومن هنا جاءت مقاومة أبي لهب وغيره من زعماء قريش المشركين للدعوة الإسلامية لأنهم اعتقدوا أن انتشار الإسلام بما يحمله من مبادئ وأفكار سامية سيهدد مصالحهم ويضربها لاسيما إذا علمنا أن النشاط الاقتصادي في مكة مرتبط بشكل عميق بالأوضاع الدينية السائدة في مكة وغيرها من القبائل العربية فدخول قريش في الإسلام من شأنه أن يقوض الأسس التي قام عليها "إيلاف قريش" وسيدخلها في صراع مستمر مع أغلبية

(16) الطبقات : مج1/108 .

القبائل العربية المشركة. وقد عبرّ المشركون عن تخوفهم من هذه النتيجة كما ذكر ذلك القران الكريم بقوله: ﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعْ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾[17][18].

وذكر ابن قتيبة رواية مفادها أن أبا لهب هو سارق غزال الكعبة، وكان من ذهب، في حين ذكر الديار بكري أنهما كانا غزالين وليس غزالاً واحداً وقصة سرقتهما أن عبد المطلب لما حفر زمزم وجدهما في البئر ، فأخذهما وعلقها في الكعبة وبقيا مدة على هذه الحالة إلى أن حصل في ليلة من الليالي أن جماعة من قريش ، وفيهم أبو لهب اجتمعوا للسمر والطرب ، ولما انتهوا قصدوا باب الكعبة، وسرقوا الغزالين واشتروا بثمنهما خمراً من تجار كانوا قدموا إلى مكة للتجارة، واشتغلوا باللهو والطرب مدة من الزمن ، ولم يعرف أحد من السارق إلى أن مرّ العباس بن عبد المطلب في ليلة من الليالي بجانب الدار التي يجتمع فيها هؤلاء الجماعة ، فسمع المغنيين يتغنون بقصة سرقة الغزالين من الكعبة ، فذهب إلى قريش وأخبرهما الخبر فقبضوا عليهم وضربوهم وقطعوا أيدي بعضهم [19]، وعلى الرغم من أن معظم المصادر التاريخية الموثوقة لم تتطرق إلى هذه الرواية ولم تذكرها، إلا انه ليس من المستبعد أن تكون صحيحة ذلك أن الروايتين تذكر أبا لهب بالاسم وتصفه بعبارة (سارق غزال الكعبة) مما يشير إلى انحطاطه وطمعه منذ نشأته.

(17) سورة القصص ، الآية 57 .

(18) الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، مطبعة جامعة الموصل ، 1991 : 125 .

(19) المعارف : 125 ؛ الديار بكري تاريخ الخميس : ج181/1 .

موقف أبي لهب من دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم)

قبل أن نتطرق إلى موقف أبي لهب من دعوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لابد لنا من العودة إلى الوراء قليلاً لنبحث في علاقة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعمه أبي لهب قبل البعثة.

تشير الروايات التاريخية أن علاقة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعمه أبي لهب كانت حسنة للغاية، وكان يكنُّ حباً كبيراً لأبن أخيه محمد بن عبد الله منذ ولادته، فقد سارع إلى إعتاق مولاته ثويبة حين بشرته بولادته (عليه الصلاة والسلام) فجزاه الله عز وجل بتخفيف العذاب عنه في يوم الاثنين الذي ولد فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقد ذكرت الروايات التاريخية أن بعض أهله وقيل هو العباس [20] رأى أبا لهب بعد موته بسنة في المنام بشر حالة وسأله ماذا لقيت، فقال له أبو لهب لم ألق بعدكم خيراً غير أني أُسقيتُ في هذه بعتاقتي ثويبة، وأشار إلى النقرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع[21] واستمرت هذه العلاقة الحسنة إلى الحد الذي جعل أبو لهب يقدم على خطبة ابنتي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "رقيه" "وأم كلثوم" لولديه "عتبة" و"عتيبة" فأما رقية فقد تزوجها

(20) السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لأبن هشام ، دار المعرفة (بيروت ، 1978) : ج67/3 .

(21) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، (القاهرة : 1964): ج112/1؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام 45 ؛ البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، دلائل النبوة ، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1985): س183/2 .

عتبة، وأما أم كلثوم فتزوجها عتيبة إلا أن أبا لهب أمر ولديه بعنف وشدة أن يطلقهما وذلك حين نزلت سورة: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [22][23] .

إلى أخر السورة ، والتي جاءت تشهيراً بمصير أبي لهب وزوجه اللذين كانا شديدي العداوة والإيذاء لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين جهر بدعوته، وكان أبو لهب يخرج بتجارته مع قومه إلى بلاد الشام وغالباً ما يرافقه أبناؤه ، ولما كانت بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) تجهز وأبنه عتيبة إلى بلاد الشام وعتيبة هذا كان قد تزوج أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفارقها قبل أن يدخل بها [24] ثم جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال كفرت بدينك وفارقت أبنتك، لا تحبني ولا أحبك ، ثم سطا عليه وشق قميصه فدعا عليه (صلى الله عليه وسلم) وقال: أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلبه [*] فخرج مع تجار قريش إلى بلاد الشام، فنزلوا ليلاً مكاناً يُعرف بالزرقاء [**] فجاء الأسد وحام حولهم وقال: يا ويل أمي هو والله آكلي كما دعا علي محمد أقاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام، فهجم عليه الأسد من بين جماعته، وأخذ برأسه فقطعه [25] وفي رواية أخرى أن عتيبة لما أراد الخروج إلى الشام قال: لآتين محمداً فأوذينه في ربه فقال: يا محمد هو يكفر بالذي

---

(22) سورة المسد ، الآية 1 .

(23) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 350 .

(24) ابن قتيبة ، المعارف : 142 ؛ الديار بكري ، تاريخ الخميس : ج275/1 .

(*) معنى الكلب هنا هو الأسد .

(**) الزرقاء : موضع بالشام بناحية معان ، فيها سباع كثيرة مذكورة بالضراوة ، ينظر : ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر، (بيروت، 1957) : مج 137/3 .

(25) الديار بكري ، تاريخ الخميس : ج275/1 .

دنا فتولى فكان قاب قوسين أو أدنى، ثم بصق أمام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وطلق أبنته، فغضب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ودعا عليه فقال اللهم سلط عليه كلباً من كلابك وكان أبو طالب حاضراً فوجم لدعوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال لعتيبة ما كان أغناك عن دعوة ابن أخي، ثم خرج عتيبة إلى الشام وهناك نزلوا منزلاً فنظر إليهم راهب من الدير وقال أرض مسبعة فقال أبو لهب يا معشر قريش أعينونا هذه الليلة فإني أخاف دعوة محمد فجمعوا متاعهم وفرشوا لعتيبة في أعلاها وباتوا حوله فجاء الأسد، وأخذ يتشمم وجوههم ثم وثب إلى عتيبة وضربه، فقال قتلني ومات وفيه قال حسان بن ثابت

من يرجع العام إلى أهله فأكيل السبع بالراجع [26]

سبب نزول سورة : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾

لما مضى ثلاث سنوات على دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى عبادة الله الواحد الأحد، ونبذ ما سواه من الشرك بصورة سرية، نزل أمر الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بإظهار دعوته فقال الله عز وجل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[27] خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصعد على الصفا وأخذ يهتف يا صباحاه! فاجتمعوا إليه، فقال يا بني فلان، يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف، أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال: فإني نذير لكم بين يديَّ عذاب شديد،

(26) الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، دلائل النبوة ، مكتبة النهضة ، (بغداد : 1983) : 391 ؛ الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج1/275-276 .

(27) سورة الشعراء ، الآية 214 .

فقال أبو لهب تباً لك سائر اليوم ! ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله عز وجل ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾[28][29] .

وهي سورة مكية بلا خلاف وعد آياتها خمس[30]، نزلت في السنة الرابعة من البعثة[31] وذكر بعض المفسرين أقوالاً أخرى في سبب نزولها وهي: أن أبا لهب أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: ماذا أعطى إن آمنتُ بك يا محمد؟ فقال (كما يعطى المسلمون) قال مالي عليهم فضل ؟! قال : (وأيّ شيء تبغي)؟ قال تباً لهذا من دين، أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأنزل الله تعالى فيه ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ وقول ثاني أنه كان إذا وفد على النبي (صلى الله عليه وسلم) جماعة يسألونه عن الإسلام انطلق إليهم أبو لهب فيسألونه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويقولون له: أنت أعلم به منا، فيقول لهم إنه كذّاب ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه، فأتى وفد، ففعل معهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه، فقال لهم أبو لهب إنا لم نزل نعالجه فتباً له وتعساً. فأخبر بذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاكتأب لذلك؛ فأنزل الله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ السورة؛ وقيل

---

(28) سورة المسد ، الآيات 1-5 .

(29) الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد ، أسباب النزول ، تحقيق : أيمن صالح شعبان ، دار الحديث، (القاهرة ، 2003) : 376-377 ؛ وينظر السيوطي ، جلال الدين ، لباب النقول في أسباب النزول، تدقيق: مروان سوار ، ط2 ، دار الجيل ، (دمشق : 1995) : 603 بهامش تفسير الجلالين .

(30) الطبري ، جامع البيان في تفسير القران ، ط 2 ، 1972 : ج 217/30 ؛ الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط2 ، (بيروت ، 1998): ج627/5.

(31) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القران، ط 1، دار الكتب العلمية، (بيروت ، 1988): ج160/20 .

إن أبا لهب أراد أن يرمي النبي (صلى الله عليه وسلم) بحجر فمنعه الله من ذلك، وأنزل الله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ للمنع الذي وقع به[32] .

وقول ثالث أنه (صلى الله عليه وسلم) لما دعاه نهاراً فأبى، فلما جن الليل ذهب إلى داره مستنا بسنة نوح عليه السلام ليدعوه ليلاً كما دعاه نهاراً، فلما دخل عليه (صلى الله عليه وسلم) قال أبو لهب جئتني معتذراً، فجلس النبي (صلى الله عليه وسلم) أمامه كالمحتاج وجعل يدعوه إلى الإسلام وقال: إن كان يمنعك العار فأجبني في هذا الوقت وأسكت، فقال لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الجدي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للجدي: من أنا؟ فقال رسول الله وأطلق لسانه يثني عليه، فاستولى الحسد على أبي لهب فأخذ يدي الجدي وفرقهما وقال: تباً لك أثر فيك السحر، فقال الجدي: بل تباً لك، فنزلت السورة على وفق ذلك ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ لتمزيقه يدي الجدي[33] وقول أخر عن محمد بن اسحق أن أبا لهب كان يقول يعدني محمد أشياء، لا أرى أنها كائنة ، يزعم أنها بعد الموت فلم يضع في يدي من ذلك شيئاً، ثم ينفخ في يديه ويقول تباً لكما ما أرى فيكما شيئاً، فنزلت السورة[34].

وعن ابن عباس أنه كان يدفع القوم عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله إنه ساحر فينصرفون عنه قبل لقائه لأنه كان شيخ القبيلة وكان له كالأب فكان لا يتهم، فلما نزلت السورة وسمع بها غضب وأظهر العداوة الشديدة فصار متهماً، فلم

(32) الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر ، 1985 : ج167/32 .

(33) الرازي ، التفسير الكبير : ج167/32 .

(34) المصدر نفسه : ج166/32 .

يقبل قوله في الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد ذلك، فكأنه خاب سعيه وبطل غرضه[35].

أما الروايات التاريخية فقد اختلفت أيضاً في سبب نزول السورة، ففي رواية البلاذري أن أبا طالب لما مات اجتمع بنات عبد المطلب إلى أبي لهب فقلن له: محمد ابن أخيك، فلو عضدته ومنعته، كنت أولى الناس بذلك ، فلقي النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو عازم على معاضدته، فسأله عن الآباء والأجداد أمصيرهم إلى الجنة أم إلى النار، فأجاب (صلى الله عليه وسلم): إنهم كانوا على غير هدى ولا دين فقال أبو لهب تباً لك، فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبّ﴾ ورُوي أن أفلح بن نضر الشيباني(*) من بني سليم ، كان سادن العُزى(**) ، فدخل عليه أبو لهب وهو يحتضر، فوجده حزيناً فقال له أبو لهب أراك حزيناً ؟ فقال: أخاف أن تضيع العُزى من بعدي فقال أبو لهب: لا تحزن فأنا أقوم عليها بعدك، فجعل كل من لقى قال: إن تظهر العُزى كنت قد اتخذت يداً عندها بقيامي عليها وإن يظهر محمد على العُزى ولا أراهُ يظهر فأبن أخي، فأنزل الله عز وجل ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبّ﴾[36].

(35) البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ، أنساب الأشراف ، تحقيق : محمد حميد الله ، معهد المخطوطات العربية بالاشتراك مع دائرة المعارف ، (مصر ، 1959) : ج121/1 .

(*) في رواية البلاذري أنه أفلح بن النضر السلمي : ج121/1 .

(**) العُزى : وهي أحدث من مناة واللات وكانت تمثل في شجيرات في وادي نخلة عن يمين الذاهب من مكة إلى العراق ، وبلغ من تعظيم العرب وقريش إياها أنهم كانوا يسمون أبناءهم عبد العزى ينظر: ابن الكلبي، الأصنام ، تحقيق : أحمد زكي ، الدار القومية للطباعة النشر ، (القاهرة ، 1965) : 17-18 .

(36) الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد ، مغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، تحقيق : مارسدن جونسن، عالم الكتب ، بيروت : ج874/3 ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف : ج121/1 .

وفي رواية أخرى أن أبا لهب قال: يعدنا محمد عدان (*) بعد الموت، ليس في أيدينا منها شيء، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾(37).

وذكر الواحدي أن قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ للاسلاِمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾(38) نزلت في حمزة وعلي ، وأبي لهب وولده، فعلي وحمزة، ممن شرح الله صدره، وأبو لهب وأولاده الذين قست قلوبهم عن ذكر الله(39).

وعن عطاء أنه لما توفي عبد الله الابن الثاني لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذهب أبو لهب إلى المشركين مسروراً فقال: بتر محمد الليلة فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ اَلابْتَر﴾(40)(41).

ولما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبّ ﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب زوج أبي لهب، ولها ولوله، وفي يدها فهر وهي تقول مذمماً أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا والنبي (صلى الله عليه وسلم) جالس في المسجد، فقال أبو بكر يا رسول الله قد أقبلت هذه وأخاف أن تراك، قال إنها لن تراني، وقرأ قرآنا فاعتصم به وقرأ ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِا لاخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾(42)

(*) عدان هنا بمعنى جنات عدن .

(37) البلاذري ، أنساب : ج121/1 ؛ الأصبهاني ، دلائل النبوة : 233 .

(38) سورة الزمر ، الآية 22 .

(39) أسباب النزول : 286 .

(40) سورة الكوثر ، الآية 3 .

(41) ابن كثير ، تفسير القران العظيم : ج559/4 .

(42) سورة الإسراء ، الآية 45 .

فوقفت على أبي بكر، ولم تر النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت إني أخبرت أن صاحبك هجاني فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فولّت وهي تقول: قد علمت قريش أني أبنة سيدها، فقال أبو بكر: للنبي (صلى الله عليه وسلم): أنها لم ترك يا رسول الله فقال (صلى الله عليه وسلم) لم يزل عندي ملك يسترني منها بجناحه[43].

وفي رواية أخرى ذكرها ابن كثير أنها أقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال أبو بكر: لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لو تنحيت لا تؤذيك بشيء فقال (صلى الله عليه وسلم) "إنه سيحال بيني وبينها" فقالت لأبي بكر هجانا صاحبك فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به فقالت: إنك لمصدق ، فلما ولت قال أبو بكر: ما رأتك؟ قال "لا" ما زال ملك يسترني حتى ولت"[44].

وقال العلماء: أن في هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة ، فإنه منذ نزل قوله تعالى ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ فأخبر الله عز وجل عن أبي لهب وزوجه أنهما غير مؤمنين وهما في شقاء دائم لذلك نجد أن أي واحد منهما لم يؤمن لا باطناً ولا ظاهراً، لا سراً ولا علناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) [45].

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا، لماذا خص القران الكريم أبا لهب وزوجه بالتهديد والعقوبة ؟!

(43) ابن هشام ، السيرة : ج1/381-382 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام : 350 .

(44) تفسير القران العظيم : ج4/565 .

(45) المصدر نفسه : ج4/565 .

إذا تقصينا موقف أبي لهب من دعوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نجد أنه كان من أشد زعماء قريش عداوة وايذاءاً لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد أتخذ موقف العدو لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) من اليوم الأول الذي جهر به دعوته وسبق قريش كلها، وقد رأينا جوابه لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)عندما صعد على الصفا منذراً عشيرته ولاسيما الأقربين منهم، كما وقف الموقف نفسه عندما أراد (صلى الله عليه وسلم) جمع بني عبد المطلب ليدعوهم إلى الله فقد ذكر البلاذري أنه لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ .

اشتد ذلك عليه (صلى الله عليه وسلم) وضاق به ذرعاً ، فمكث شهراً أو نحوه لا يخرج من بيته، حتى ظنت عماته أن به وجعاً فذهبن إليه يعودنه فقال: ما اشتكيت شيئاً ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فأردت جمع بني عبد المطلب لادعوهم إلى الله ، فقلن: فدعوهم ولا تجعل عبد العُزى فيهم يقصدن - أبا لهب - فإنه غير مجيبك إلى ما تدعوهم إليه، وخرجن من عنده وهن يرددن إنما نحن نساء، فلما أصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر علي بن أبي طالب أن ينظم مأدبة ودعا إليها بني عبد المطلب فحضروا ومعهم عدد من رجال بني عبد مناف، وجميعهم خمسة وأربعون رجلاً، وجاء أبو لهب مسرعاً وهو يظن أنه (صلى الله عليه وسلم) تارك ما يكرهون إلى ما يحبون، وبعد ان تناولوا طعامهم، قال أبو لهب: هؤلاء عمومتك وبنو عمك ، فتكلم لما تريد، ودع الصباة ، وأعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأنّ أحق من أخذك فحبسك أسرتك وبنو أبيك إن أقمت على أمرك، فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيت يابن أخي، أحداً قط جاء بني أبيه بشر مما جئتهم به وأسكت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلم يتكلم في ذلك المجلس، ومكث أياماً، واشتد عليه كلام أبي لهب،

فنزل جبريل عليه السلام، يأمره بإمضاء ما أمره الله به، فجمعهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثانية ، فقال: "الحمد لله أحمده واستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له" ثم قال "إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سواءً، وإنها للجنة أبداً، أو النار أبداً وأنتم لأول من أنذر" فقال: أبو طالب "ما أحب إلينا معاونتك ومرافدتك وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم غير أني والله أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به فو الله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أني لا أجد نفسي تطوع لي فراق دين عبد المطلب حتى أموت على ما مات عليه" وتكلم بقية القوم كلاماً ليناً، غير أبي لهب فإنه قال: "يا بني عبد المطلب هذه والله السوءة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ على يده غيركم ، فإن أسلمتموه حينئذ ذللتم وإن منعتموه قتُلتم" فقال أبو طالب: "والله لنمنعه ما بقينا[46].

مما سبق يتضح لنا موقف أبي لهب وهو العم والقريب الذي يفترض به أن يكون اليد الحنونة التي تحيط بابن أخيه، لا أن يكون القاطع، المباعد، العدو اللدود وهناك شواهد أخرى تثبت سعي أبي لهب بكل ما أوتي من قدرة ومال للقضاء على دعوة رسول الله ابن أخيه وهي موقفه من صحيفة المقاطعة (العهد) التي تحالفت فيها جميع بطون قريش وعشائرها على بني هاشم وبني عبد المطلب ألاّ يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم حتى يسلموا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للقتل، ووثقوا ذلك بصحيفة فيها عهود

(46) ابن هشام ، السيرة : ج1/375-376 ؛ الطبري ، تاريخ : ج320/2 .

ومواثيق، علقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم [47]. فأنحاز أبو هاشم وبنو المطلب مسلمهم وكافرهم إلا أبا لهب وولده فإنهم ظاهروا قريشاً على بني هاشم [48] بقي المسلمون محاصرين في شعب [*] أبي طالب ثلاثة أعوام، عانوا فيها اشد المعاناة وقطعت عنهم المادة والميرة، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم[49] وهذا يعني أن المسلمين استفادوا من حرمة الأشهر الحرم فكانوا ينزلون إلى الأسواق لشراء الطعام غير أن أبا لهب اللعين لم يكتفِ بكل ما جرى لهم من قطيعة ظالمة وعدوان مجحف فكان يجتمع مع التجار القادمين إلى مكة ويقول لهم "يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد، حتى لا يدركون معكم شيئاً فقد علمتهم ما لي ووفاء ذمتي، فإني ضامن أن لا خسارة عليكم فيقوم التجار بزيادة قيمة السلعة أضعافاً ثم يغدون إلى أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس وبذلك لا يتمكن بنو هاشم وبنو المطلب من شراء حاجتهم من الطعام حتى سُمعت أصوات أطفالهم يتضورون من الجوع [50] وذكر البلاذري رواية مفادها أن أبا لهب (لعنه الله) لما خرج من الشعب مظاهراً لقريش لقي هند بنت عتبة فقال لها: يا بنت عتبة هل نصرت اللات والعُزى، قالت نعم فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة، وذكر أنه

(47) ابن هشام ، السيرة : ج 376/1 ؛ الطبري ، تاريخ : ج 348/2-349 ؛ المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي، إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع ، تحقيق وشرح : محمود محمد شاكر ، (القاهرة ، 1941) : ج25/1 .

(48) المقريزي ، إمتاع الأسماع : ج25/1 .

(*) الشُعب : ما أنفرج بين جبلين ، وقيل : هو الطريق في الجبل ، والجمع شعاب ، ينظر : ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ط3 ، دار صادر ، (بيروت ، 1994) : مج501/1 .

(49) السهيلي ، الروض الأنف : ج127/2 .

(50) أنساب الأشراف : 138-266-267 .

قال: لها ذلك حين دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قريشاً إلى دين الإسلام، فأبى أبو لهب قوله وردّ عليه بعنف وشدة فلقي هند بنت عتبة ، فقال لها: "لقد باينت محمداً، يا أبنه عتبة، وأبيت ما جاء به، ونصرت اللات والعُزى وغضبت لهما" فقالت: جُزيت خيراً يا أبا عتبة[51].

والراجح أن أبا لهب قال لهند بنت عتبة هذا الكلام حين خرج مظاهراً لقريش على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأن سياق الحدث يشير إلى ذلك فهو الرأس الوحيد من بني هاشم الذي تنكر لرابطة الرحم والعشيرة وأبى بكل عنف وشدة دين الإسلام، فضلاً عن أن قوله لهند بنت عتبة هذا الكلام يوحي بأنه قد قام بعمل يستحق الثناء عليه والمباهاة به خاصة في وقت كان فيه المسلمون أحوج ما يكونون إلى النصرة والمساعدة وكان من نتائج المقاطعة أن توفي أبو طالب والسيدة خديجة (رضي الله عنها) بعد قليل من انتهائها ، بسبب ما أصابهما من الجهد ، عند ذلك انتهزت قريش الفرصة ونالت من رسول (صلى الله عليه وسلم) ما لم تنله في حياة عمه المدافع والحامي له، حتى قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب" [52] والبادي أن زعامة بني هاشم انتقلت بعد وفاة أبي طالب إلى أخيه أبي لهب وهو كما أسلفنا من أشد أعداء الدعوة الإسلامية، لكنه شعر أن من مقتضيات الزعامة لعشيرته أن يتولى حماية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما كان يفعل أبو طالب [53] ذكر ابن كثير رواية تفيد أن أبا

(51) ابن هشام ، السيرة: ج 48/1 ؛ الطبري ، تاريخ : ج 344/2؛ ابن كثير، السيرة النبوية: ج1/318-319.

(52) الملاح ، الوسيط في السيرة : 164 .

(53) المصدر نفسه : 164 .

لهب لما بلغه تطاول قريش على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذهب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال: يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حياً فاصنعه، لا واللات لا يوصل إليك حتى أموت وسب ابن الغيطلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأقبل إليه أبو لهب وسبه ، فذهب إلى معشر قريش يصيح صبأ أبو عتبة، فجاؤا إلى أبي لهب وسألوه فقال: ما فارقت دين عبد المطلب ولكن أمنع ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد، فقالوا: لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم . ثم مكث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أياماً لا يتعرض له أحد وهابت قريش أبا لهب حتى جاء عقبة بن أبي معيط وأبو جهل إلى أبي لهب وقالا له: أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك ؟ فسأل أبو لهب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أين مدخل عبد المطلب ؟ فقال (صلى الله عليه وسلم): مع قومه فقالا له يزعم أنه في النار فقال أبو لهب: يا محمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ فقال (صلى الله عليه وسلم) ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار حينئذ قال أبو لهب (لعنه الله) والله ما برحت لك إلا عدواً أبداً وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار، واشتد عليه عند ذلك أبو لهب وسائر قريش[54].

مما لاشك فيه أنه من البديهي أن يقف أبو لهب هذا الموقف متعصباً لأبيه عبد المطلب وديانة الأجداد، وقد أسلفنا موقفه من الدعوة من اليوم الأول فلا يمكن وحاله هذه أن يسعى إلى حماية ابن أخيه مبلّغ الدعوة حتى يصل إلى مبتغاه حتى لو كان قد قطع على نفسه عهداً فضلاً عن أنه قال هذا الكلام بدافع العصيبة ليس إلا ولاسيما بعد أن آلت إليه زعامة بني هاشم بعد وفاة أبي طالب لذا أجدني لا أتفق مع الباحث إحسان فيما ذهب إليه بأن هذه الرواية غير صحيحة وأن أبا لهب قد قطع

(54) ابن كثير ، السيرة النبوية : ج1/318-319 .

على نفسه عهداً ، فكيف يعقل أن يغير موقفه الذي التزم به مدافعاً عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [55].

نقول أن أبا لهب لا يعرف عهوداً ولا مواثيق ولا رحماً، لا يعرف سوى مصالحه الشخصية وما موقفه من الدعوة من اليوم الأول وعداوته الشديدة الشاذة لأبن أخيه محمد (صلى الله عليه وسلم) إلا دليل واضح على ذلك وتحضرني هنا رواية ذكرها البلاذري فحواها أن صفية بنت عبد المطلب قالت لأبي لهب: أي أخيّ أحسن بك خذلان ابن أخيك وإسلامه فو الله ما زال العلماء يخبرون أنه يخرج من ضئضئ عبد المطلب نبي فهو هو" فقال هذا والله الباطل، والأماني ، وكلام النساء في الحجال إذا قامت بطون قريش كلها ، وقامت معها العرب ، فما قوتنا بهم والله ما نحن عندهم إلا أكله رأس [56]، وذكر ابن إسحق أنه لما بادأهم أبو طالب بالعداوة وباداهم بالحرب عدت قريش على من أسلم منهم فأوثقوه وآذوه واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة فيهم ، وزلزلوا زلزالاً شديداً، وعدت بنو جمح على عثمان بن مظغون، وفرّ أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال من مخزوم إلى أبي طالب ليمنعه وكان خاله فجاءت بنو مخزوم ليأخذوه ، فمنعهم ، فقالوا: يا أبا طالب منعتنا ابن أخيك أتمنع منا ابن أخينا ؟! فقال أبو طالب: أمنع ابن أختي مما أمنع ابن أخي، فقال أبو لهب ولم يتكلم بكلام خير قط ليس يومئذ صدق أبو طالب لا يسلمه إليكم، فطمع فيه أبو طالب حين سمع منه ما سمع ورجا نصره والقيام معه.

(55) اسماعيل، إحسان إبراهيم، بنو هاشم في عصر الرسالة، رسالة ماجستير غير منشورة، (الموصل ، 1990) : 128 .

(56) أنساب الأشراف : ج119/1 .

ومن شواهد عداء أبي لهب للرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه عندما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخرج إلى موسم الحج والأسواق مستفيداً من حرمة الأشهر الحرم فيلتقي بقبائل العرب التي تأتي إلى مكة في هذا الموسم ويعرض عليهم دعوته فيقول (صلى الله عليه وسلم): يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني ، حتى أبين عن الله ما بعثني به، فكان أبو لهب يجول خلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإذا فرغ من قوله، وما دعا إليه، يقول لهم: يا بني فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعُزى من أعناقكم وحلفائكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة[57] بل أنه كان يضربه فيدمي عقبيه (صلى الله عليه وسلم)، فقد روى طارق بن عبد الله المحاربي إني بسوق ذي المجاز، إذ أنا بإنسان يقول: "يأيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، وإذا رجل خلفه يرميه، قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ويقول: يا أيها الناس ، إنه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا؟ فقالوا: محمد، زعم أنه نبي وهذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب [58] وعن عطاء عن ابن عباس(رضي الله عنهما) قال: قال أبو لهب سحركم محمد إن أحدنا ليأكل الجَذَعةَ، ويشرب العُسّ من اللبن فلا يشبع وإن محمداً قد أشبعكم من فخذ شاة وأرواكم من عُسّ لبن[59].

وشاهد ثالث تذكره بعض المصادر التاريخية أن أبا لهب كان يطرح القذر والنتن على باب النبي (صلى الله عليه وسلم)، فرآه حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) فأخذه وطرحه على رأسه، فأخذ أبو لهب ينفض رأسه ويقول صابئ

(57) الطبري ، تاريخ : ج2/348-349 .

(58) القرطبي ، جامع البيان : ج161/20 ؛ الرازي ، التفسير الكبير : ج32/166-167 .

(59) القرطبي ، جامع البيان : مج 161/20 .

أحمق، فأقصى عما كان يفعل ولكنه كان يدس من يفعله ، وعن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: قال رسول الله: (صلى الله عليه وسلم) "كنت بين شرّ جارين بين أبي لهب وعُقبه بن أبي معيط إن كان ليأتيان بالفروث فيطرحونها في بابي ، قالت عائشة فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: يا بني عبد مناف أي جوار هذا؟ ثم يميطه عن بابه[60].

قال ابن اسحاق: كان النفر الذين يؤذون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بيته أبا لهب، والحكم ابن أبي العاص بن أمية، وعقبه بن أبي معيط وعدي بن حمراء الثقفي، وأبن الأصداء الهذلي وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص، فكان أحدهم يطرح عليه (صلى الله عليه وسلم) رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له، حتى أتخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حجراً ليستتر به منهم إذا صلى، فكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود، فيقف به على بابه، ثم يقول "يا بني عبد مناف، أي جوار هذا ؟" ثم يلقيه في الطريق[61].

أما امرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية، فهي أيضاً كانت شديدة العداوة والإيذاء لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقد كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي (صلى الله عليه وسلم) ليعقره وأصحابه ولذلك وصفها القران الكريم بحمالة الحطب [62] وقال مجاهد: إنها كانت تمشي بالنميمة بين الناس والعرب

(60) ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، (بيروت ، 1960) : مج 201/1 ؛ البلاذري ، أنساب : ج147/1-148 ؛ ابن الأثير ، الكامل : مج 70/2 .

(61) ابن هشام ، السيرة : ج57/2 .

(62) الطبري ، جامع البيان : ج219/30 ؛ البيهقي ، دلائل النبوة : س183/2 .

تقول: فلان يحطب على فلان، إذا نمَّ به [63] وقيل إنها كانت تعيّر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالفقر[64] وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة فقالت لأنفقنها في عداوة محمد فأبدلها الله جل شأنه حبلاً في جيدها من مسد[*] النار[65] .

ويرجح الطبري قول من قال كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق النبي (صلى الله عليه وسلم) لأن ذلك هو أظهر في المعنى[66] .

موقف أبو لهب من غزوة بدر الكبرى

وفي رمضان من السنة الثانية للهجرة 622م وقعت غزوة بدر الكبرى، وسببها أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعث نفراً من المسلمين لاعتراض قافلة لقريش قادمة من الشام، فلما علم أبو سفيان بن حرب وكان قائد القافلة، أرسل إلى قريش من يخبرهم باعتراض المسلمين للقافلة ويستنفرهم لإنقاذها، تم تمكن أن يصل بالقافلة إلى مكة دون أن تمس بسوء بعد أن غير طريقه، فسار باتجاه البحر[67] غير أن قريشاً أبت إلا أن تقاتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وخرجت بجيش قوامه بين تسعمائة وألف ولم يتخلف من أشرافها إلا أبو لهب بسبب مرضه، فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة أخو أبي جهل وكان من حمقى قريش ليقاتل بدلاً عنه، وكان أبو لهب قد قامره فقمره بماله، ثم بداره بكل ما يملك، فقال العاصي: أرى القداح قد حالفتك بابن عبد المطلب ، هلمّ نجعلها على أينا يكون

(63) الشوكاني ، فتح القدير : ج628/30 .

(64) الطبري ، جامع البيان : ج219/30 .

(*) مسد : حبل من ليف .

(65) ابن كثير ، تفسير القران العظيم : ج564/4 .

(66) جامع البيان : ج219/30 .

(67) ابن هشام ، السيرة : ج257/2-258 .

عبداً لصاحبه، قال ذلك لك فدحاها (*)، فقمره أبو لهب ، فأصبح له عبداً، وكان يأخذ منه ضريبة ، فلما كان يوم بدر وجعلت قريش كل من لم يخرج بإخراج رجل مكانه فأخرجه أبو لهب بدلاً عنه وشرط له العتق ، فخرج وقتل كافراً وقتله علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وفي رواية ابن قتيبة أن الذي قتله عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكان خاله[68] .

موت أبي لهب (لعنه الله)

أصيب أبو لهب بداء يُعرف بالعدسة(**) وكان موته بعد غزوة بدر بسبعة أيام بعد أن ضربته أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد روى أبو رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: كنت غلاماً للعباس أنحت الأقداح في صُفة زمزم وعندي أم الفضل جالسة ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه فجلس على طنب الحجرة وكان ظهري إلى ظهره فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال له أبو لهب: كيف الخبر يا ابن أخي؟ فقال: لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف أرادوا، وأيم الله مع ذلك مالمتُ الناس، لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والأرض قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة، ثم قلت أولئك والله

(*) دحاها : رماها والدحو : رمي اللاعب بالحجر أو الجوز وغيره وذلك أنهم كانوا يحفرون حفرة بمقدار الحجر الذي يريدون رميه ، ثم يتنحون عنها قليلاً ويرمون بالأحجار إليها فإن وقعت الأحجار في الحفرة غَلَبَ صاحبها وإن لم تقع فيها غُلِبَ وتسمى تلك الأحجار المداحي ، ينظر : الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين ، الأغاني ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، مؤسسة جمال ، بيروت : ج4/174 هامش 4 .

(68) الأصفهاني ، الأغاني : ج4/174 ؛ عيون الأخبار : ج4/41 .

(**) العدسة : بثرة قاتلة كالطاعون تنتشر في أنحاء من الجسد . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب : مج6/132 (مادة عدس) .

الملائكة، فأخذني أبو لهب وضربني على الأرض، ثم برك علي فضربني وكنت رجلاً ضعيفاً ، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربته على رأسه وشجته، وقالت تستضعفه أن غاب سيده والله نحن مؤمنون منذ أيام كثيرة ، وقد صدق فيما قال فانصرف ذليلاً فو الله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته [69] وبقي بعد موته ثلاثة أيام لا يقربه أحد حتى أولاده ، فلما خافوا السبة في تركه حفروا له حفرة، ثم دفعوه بعود إليها ثم قذفوا عليه بالحجارة من بعيد[70].

وأما أولاده فقد أسلفنا الإشارة إلى أن عتيبة الابن الثاني لأبي لهب قد قتله الأسد وأما عتبة الأكبر ومعتب الأصغر ودرّة بنت أبي لهب فقد اسلموا يوم الفتح ولهم صحبة[71] وفي رواية ابن حجر أنه لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مكة في عام الفتح قال: للعباس (رضي الله عنه) "يا عباس أين أبنا أخيك عتبة ومُعتب؟ قلت: تنحيا فيمن تنحى فقال (صلى الله عليه وسلم) "أئتني بهما" قال فركبت إليها إلى عرفة فأقبلا مسرعين، وأسلما وبايعا، فقال النبي: (صلى الله عليه وسلم) إني استوهبت أبني عمي هذين من ربي فوهبهما لي وسرُّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بإسلامهما، وشهدا حنيناً والطائف مع رسول الله (صلى الله عليه

(69) القرطبي ، الجامع : ج165/20 ؛ الرازي ، التفسير الكبير : ج170/32-171 ؛ العصامي، سمط النجوم: ج323/1 .

(70) القرطبي ، الجامع ج165/20 ؛ العصامي ، سمط النجوم : ج323/1 .

(71) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 349 .

وسلم) وكانا فيمن ثبت ولم ينهزم وبقيا في مكة ولم يأتيا إلى المدينة، ولهما عقب[72] وأما درّة فاسلمت وروت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) [73] .

مقاومة أبي لهب (لعنه الله) لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم

ـ نظرة تحليلية ـ

بعد هذا العرض السريع للدور الواسع الذي لعبه أبو لهب اللعين في مقاومة دعوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، لا بد لنا من البحث في أسباب هذه المقاومة فمن الثابت أنّ أبا لهب كان يرتكز على قدر واسع من الثراء، الذي يأتي من تجارته إلى بلاد الشام إذ كانت مرتبطة بالنشاط التجاري لبني عبد شمس [74] بحكم زواجه من ابنتهم أروى بنت حرب بن أمية فضلاً عما كان يتمتع به من شرف المنبت بانتسابه إلى عشيرة لها شأنها ومكانتها في قريش، كل ذلك أهّله لأن يصبح أحد زعماء قريش البارزين، وأحد أفراد الملأ ذلك التنظيم الذي يضم رجالاً من أشراف قريش يتولون إدارة أمور مكة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية من هنا جاءت مقاومة أبي لهب وغيره من زعماء قريش حفاظاً على تلك المصالح، من غير نظر إلى حق أو باطل، وكان لارتباطه التجاري مع عشيرة بني أمية أثرٌ في

(72) ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة : ق 440/4 ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : محمد إبراهيم البنا وآخرون ، دار الشعب ، (مصر ، 1970): مج369/3 .

(73) الديار بكري ، تاريخ الخميس : ج169/1 .

(74) البلاذري ، أنساب الأشراف : ج122/1 .

سلوكه الشاذ[75] وربما كان متأثراً بزوجته أم جميل بنت حرب، وهي امرأة سليطة وقاسية، كانت تكثر الافتراء والدس على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدفعها في ذلك أسباب شتى[76] منها العداوة القديمة والتنافس الحثيث بين عشيرة بني هاشم وعشيرتها ، فكانت تغري أبا لهب بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وتدفعه لعداوته[77] ولعله أيضاً كان متطرفاً في عداوته تعصباً للعُزى لاسيما أنه كان يحمل أسمه، ويعتقد أن بقائها آلهة للعبادة مرهونة بحياته [78] فضلاً عن تعصبه الشديد لديانة الآباء والأجداد بحيث لم يكن بمقدوره التحول عنها إلى عقيدة جديدة حتى لو كان الداعي لها ابن أخيه وكانت شخصيته شخصية فظة، غليظة ، قاسية، متعجرفة، لا تعرف سوى مصالحها الشخصية، إذ كان لا يتوانى في سبيلها عن ارتكاب الحماقات، وعمل المنكرات ، وأخيراً لاشك أن معارضة أبي لهب الشديدة تركت أثاراً سيئة في مجال انتشار الدعوة وحيويتها لأنه بموقفه حرّض بقية أفراد قريش للتآلب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [79]، فضلاً عن أنه قوى حجج خصوم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، كما ترك أثراً سيئاً في نفس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باعتباره العم والقريب الذي ينتظر منه موقفاً مؤازراً ومسانداً.

(75) وات ، مونتغمري ، تعريب : شعبان بركات ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت : 194 .

(76) الغزالي ، محمد ، فقه السيرة ، ط7 ، 1976 : 103-104 .

(77) در منغم ، أميل ، حياة محمد ، ترجمة : عادل زعيتر ، ط 2 ، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة ، 1949) : 94 .

(78) الواقدي ، المغازي : ج874/3 .

(79) أرفنج ، واشنجتون، ترجمة وتعليق: د.علي حسني الخربوطلي، دار المعارف، (القاهرة، 1960): 63.

الخاتمة

ألقى هذا البحث الضوء على حياة أبي لهب ودوره في مقاومة دعوة الإسلام الذي بدا واضحاً وعنيفاً منذ اليوم الأول الذي جهر به نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) بدعوته.

والذي يؤشر على استعداد أبي لهب للتضحية بكل ما هو متعارف عليه من قيم ومبادئ أخلاقية في سبيل مصالحه الشخصية، فقد كان حريصاً كل الحرص على أن لا تمس مكانته ونفوذه بأي سوء بوصفه أحد التجار الكبار المرتبطين بشكل خاص مع عشيرة بني أمية، التي تنتمي إليها زوجته أم جميل أروى بنت حرب، والتي كانت لا تقل عداوة وشراسة عن زوجها في مقاومة الدعوة .

هذا العداء السافر من جانب أبي لهب وزوجه خصه القران الكريم بسورة نزلت متوعدة أبا لهب وزوجه بالعقوبة والعذاب والسخرية في الحياة وبعد الممات.

ولقد اتضح لنا من خلال البحث أن المستفيد من مقاومة دعوة الإسلام هم المتنفذون من رجال قريش الذين كانوا لا يقرون ولا يريدون أن يقروا بمبادئ الإسلام الحنيفة التي تدعو إلى توحيد الله عز وجل توحيداً مطلقاً، والى المساواة بين أبناء البشر كافة ولا سبيل للمفاضلة إلاّ بالتقوى.

Abstract

Abdu AL-Auza bin Abdu AL-Mutalib (Abu Lahab) His Life and His Hostile Attitude towards Islamic Mission

Ikhlas Abed-AL-Razak Mahmod [*]

All of us know that Abu Lahab has a great role in resisting the Islamic mission. The prophet (God's blessing and peace be upon him) wasn't confronting the danger of the unbelievers only, but what larger than this is that of the unbelievers from his relatives of Banu Hashem like Abu Lahab and others. They stood strongly and severely against him and worked to destroying his mission by all means. Here other one may ask this question why we had mentioned Abu Lahab more than others of Quriash Leaders?

We say that because Abu Lahab was the Prophet's uncle and one of the famous heads of Banu Hashem, to whom a sura devoted in the holy Quran promising with a punishment, torture and grace in

(*) Dept. of History - College of Arts / University of Mosul.

his life and death. So that, his hostile attitude provoked the unbelievers and strengthened their pretext in his hostility, destroying him and his mission. Therefore, his attitude united with the rest of Quriesh influential Leaders from the beginning, because they felt that the Islamic mission will damage their profits and ruin their privileges, so they plotted conspiracies and made anti-powers against the Prophet. Then Abu Lahab separated from tribalism to money and privilege.

I had mentioned in this research the details of events and reviewing them from two sides:

First: Life of Abu Lahab before Islam.

Second: His attitude towards Islamic mission.

And I concluded it by analyzing the opposition of Abu Lahab its reasons, results and death (God curse him).